

اعجاز قرآن

درس نوزدهم

استاد : حجت الاسلام و المسلمین صادق نیا

آموزشیار : سرکار خانم حیدری

اعجاز بياني - واژگان غريب (١٩)

هل فى القرآن لفظة غريبة ؟

قال قوم : إِنَّا إِذَا تَلَوْنَا الْقُرْآنَ وَتَأَمَّلْنَاهُ وَجَدْنَا مَعْظَمَ كَلَامِهِ مَبْنِيًّا وَمَوْفَّاءً مِنْ أَلْفَاظٍ قَرِيبَةٍ وَدَارِجَةٍ فِي مَخَاطِبَاتِ الْعَرَبِ وَمُسْتَعْمَلَةٍ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ ، وَحَظَّ الْغَرِيبَ الْمَشْكَلَ مِنْهُ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْكَثِيرِ مِنْ وَاضِحِهِ قَلِيلٌ ، وَعَدَدُ الْفَقْرِ وَالْغُرِّ مِنْ أَلْفَاظِهِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مِبَاذِلِهِ وَمِرَاسِيلِهِ عَدَدٌ يَسِيرٌ ، الْأَمْرُ الَّذِى لَا يَشْبَهُ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ الْبُلْغَاءِ الْأَقْحَاحِ مِنْ خُطْبَاءِ مِصْرَ قَعٍ وَشِعْرَاءِ مَقْلَقِينَ ، كَانَ مَلَأَ كَلَامَهُمُ الدَّرَرَ وَالْغُرَّ وَالْغَرِيبَ وَالشَّارِدَ .

لكن الغرابة على وجهين - كما ذكره أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي فى كتابه (معالم السنن) قال : الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم ، كما

أَنَّ الْغَرِيبَ مِنَ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ الْبَعِيدُ عَنِ الْوَطَنِ الْمَنْقَطِعِ عَنِ الْأَهْلِ ، وَالْغَرِيبُ مِنَ الْكَلَامِ يُقَالُ بِهِ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يُرَادَ بِهِ أَنَّهُ بَعِيدُ الْمَعْنَى غَامُضُهُ لَا يَتَنَاوَلُهُ الْفَهْمُ إِلَّا عَنْ بُعْدٍ وَمَعَانَاةٍ فِكْرٍ .

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ : أَنْ يُرَادَ بِهِ كَلَامٌ مَن بَعْدَتْ بِهِ الدَّارُ مِنْ شَوَاطِئِ قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، فَإِذَا وَقَعَتْ إِلَيْنَا الْكَلِمَةُ مِنْ لُغَاتِهِمْ اسْتَغْرَبْنَا ^١ . وَالْغَرِيبُ فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ النَّوعِ الثَّانِي ؛ وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَخْلُ بِفَصَاحَتِهِ ، وَالْقُرْآنُ لَمْ يَسْتَعْمَلْ إِلَّا مَا تَعَارَفَ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ وَتَدَاوَلُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَكِنْ فِي طَبَقَةِ أَعْلَى وَأَرْفَعٍ مِنْ حَدِّ الْإِبْتِذَالِ الْعَامِ ، فَلَا اسْتَعْمَلَ الْوَحْشَى الْغَرِيبَ وَلَا الْعَامَى السَّخِيفَ الْمُرْتَذِلَ ^٢ ، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجَرَجَانِي فِي أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ ^٣ .

^١ هامش غريب القرآن للطريحي ، المقدمة : هـ .

^٢ كقول العامة : ايش ، بمعنى أى شىء . وانفسد بمعنى فسد .

^٣ قال الجرجاني : وربما استُسخف اللفظ بأمر يرجع إلى المعنى دون مجرد اللفظ ، كما يُحكى من قول عبيد الله بن زياد لَمَّا دُهِشَ : (افتحوا لى سيفى) ! وذلك أَنَّ الْفَتْحَ خِلَافَ الْإِغْلَاقِ ، فَحَقُّهُ أَنْ يَتَنَاوَلَ شَيْئًا هُوَ فِي حَكْمِ الْمَغْلُقِ الْمَسْدُودِ ، وَلَيْسَ السَّيْفُ بِمَسْدُودٍ ، وَأَقْصَى أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ فِي الْغَمْدِ بِهَنْزِلَةِ الثَّوْبِ فِي الْعِكَمِ (كَالْعِدْلِ : نَمَطٌ تَجْعَلُ الْمَرْأَةَ فِيهِ ذَخِيرَتَهَا ، وَبِمَعْنَى الْجَوَالِقِ) وَالْدَّرْهَمُ فِي الْكَيْسِ وَالْمَتَاعُ فِي الصَّنَدُوقِ ، وَالْفَتْحُ فِي هَذَا الْجِنْسِ يَتَعَدَّى أَبَدًا إِلَى الْوَعَاءِ الْمَسْدُودِ عَلَى الشَّيْءِ الْحَاوِي لَهُ ، لَا إِلَى مَا فِيهِ ، فَلَا يُقَالُ : افْتَحَ الثَّوْبَ (أَسْرَارُ الْبَلَاغَةِ : ص ٣ - ٤) .

قال التفتازانى : والغربة كون الكلمة وحشية ، غير ظاهرة المعنى ، ولا مانوسة الاستعمال ، فمنه ما يحتاج فى معرفته إلى أن ينقر ويبحث عنه فى كتب اللغة المبسوطه ، كتكأكأتم وافرنعوا فى قول عى سى بن عمر النحوى ، هاجت به مرّة وسقط من حماره فوثب إليه قوم يعصرون إبهامه ويؤذنون فى أذنه ، فأفلت من أيديهم وقال : (مالكم تكأكأتم علىّ كما تتكأكأون على ذى جنّة ، افرنعوا عنيّ !) . فجعل الناس ينظرون إليه ويقول بعضهم لبعض : دعوه فإنّ شيطانه يكلّم بالهندية !^١ .

قال : ومنه ما يحتاج إلى أن يُخرَج له وجه بعيد ، نحو مُسرّج فى قول العجّاج :

ومُقلةٌ وحاجبا مزجّجا وفاحماً ومرسناً مُسرّجا^٢

لم يُعلم أنّه مأخوذ من السيف السريجيّ فى الدقة والاستواء ، أو من السراج فى البريق واللمعان .

قال : والوحشى قسمان ، غريب حسن وغريب قبيح ، فالغريب الحسن هو الذى لا يُعاب استعماله على العرب ؛ لأنّه لم يكن وحشياً عندهم ، وذلك مثل شرنبث واشمخرّ واقمطر^٣ وهى فى النظم أحسن منه فى النثر ، ومنه غريب القرآن والحديث . والغريب القبيح يُعاب استعماله مطلقاً (حتى على العرب) ويُسمّى الوحشى الغليظ ، وهو أن يكون مع كونه غريب الاستعمال ثقيلًا على السمع كريهاً على الذوق ، ويُسمّى المتوعّر أيضاً ، وذلك مثل جحيش واطلخم الأمر وجفخت^٤ وأمثال ذلك^٥ . والخلاصة : القرآن كما يترفع عن الاسترسال العامى المرتذل ، كذلك يبتعد عن استعمال غرائب الألفاظ المتوعّرة بمعنى وحشيها غير مانوسة الاستعمال ولا مألوفة فى متعارف أهل اللسان المترقّعين .

قال الخطابى : ليست الغربة ممّا اشترطت فى حدود البلاغة ، وإنّما يكثر وحشى الغريب فى كلام الأوحاش من الناس والأجلاف من جفاة العرب ، الذين يذهبون م ذاهب (العنجهية)^٦ ولا يعرفون تقطيع الكلام وتنزيله والتخيّر له ، وليس ذلك

^١ المطول طبعة اسلامبول : ص ١٨ ، وراجع الفائق للزمخشري : ج ٢ ص ٢٤١ . نسب الجاحظ ذلك إلى أبى علقمة ، حدّث به ذلك فى بعض طرقات البصرة . والمعنى : مالكم اجتمعتم علىّ كما تجتمعون على مجنون ، تفرّقوا عنيّ .

^٢ المُقلة : حدقة العين ، والمزجّج كمعظم : المدقّق المرقّق ، والفاحم : الشعر الأسود ، والمرسن كمجلس : موضع الرسن من أنف الناقة ، شاع استعماله فى مطلق أنف الإنسان .

^٣ الشرنبث كفضنفر : الغليظ الكفّين والرجلين . واشمخرّ : طال . واقمطرّ : اشتدّ .

^٤ والجحيش : المُنعزل عن الناس بمعنى الفريد ، واطلخم الأمر : اشتبك واشتبه ، مأخوذ من الطلخوم بمعنى الماء الآجن . وجفخت : تكبّرت .

^٥ المطول : طبعة اسلامبول ص ١٨ .

^٦ العنجه لغة فى العمهج بمعنى الإبل الضخم الطويل ، والعنجهية : كناية عن سلوك طرائق وعرة بعيدة المدى ، إما تعسفاً أو تفنّناً لا لغرض معقول .

معدوداً في النوع الأفضل من أنواعه ، وإنما المختار منه النمط الأقصد الذي جاء به القرآن ، وهو الذي جمع البلاغة والفخامة إلى العذوبة والسهولة

قال : وقد يُعدّ من ألفاظ الغريب في نعوت ^١ لطويل ^١ نحو من ستين لفظة أكرها بشع شنع ، كالعشنت والعشنت والعشنت ، والشوقب. والشوذب والسلهب ، والقوق والقاف ، والطوط والطاط ... فاصطلح أهل البلاغة على نبذها وترك استعمالها في مرسل الكلام ، واستعملوا الطويل ، وهذا يدلّك على أنّ البلاغة لا تعباً بالغرابة ولا تعمل بها شيئاً ^٢. وبعد ، فالذي جاء منه في القرآن الشيء الكثير ، هو الغريب العذب والوحش السائغ ، الذي أصبح بفضل استعماله ألوفاً ، وصار من بعد اصطياده خلوباً . دون البعيد الركيك والمتوعّر النفور ، الذي لم يأت منه في القرآن شيء ، ممّا جاء في كلام أمثال ذاك النحوي المتكلّف عيسى بن عمر .

والسبب في ازدحام غرائب الألفاظ وعرائس الكلمات في القرآن ؛ هو ارتفاع سبكه عن مستوى العامة الهابط ، واعتلاء أسلوبه عن متناول الأجلاف المبذل .

القرآن اختصّ بإحاطته على عوالي الكلمات الفصحى ، وغوالي العبارات العليا ، لا إعواز في بيانه ولا عجز ولا قصور ، الأمر الذي يُنبئك عن علم شامل بأوضاع اللغة وكرائم الألفاظ ، دليلاً على أنّه من ربّ العالمين المحيط بكلّ شيء ، هذا أولاً . وثانياً : احتواؤه لما في لغات القبائل من عرائس الغرائب ، كانت معهودّة في أقطار اختصّت بوضعها ، ومعروفة في أمصار توحدت في استعمالها ؛ ومن ثمّ كانت غريبة في سائر البقاع والبلدان .

وقد استعمل القرآن كلّ هذه اللغات ، فتعارفت القبائل بلغات بعضها من بعض ، وبذلك توحدت اللغة ، وخلصت من التشتت والافتراق ، وهذا من فضل القرآن على اللغة العربية .

^١ أى كل ذلك ينعت به الطويل بمختلف أطواره ، كالعشنت يوصف به الطويل الذي ليس بضخم ولا مثقل ، والعشنت : الشابّ الظريف الحسن الجسم ، والشوذب : الطويل الحسن الخلق ... وهكذا .

^٢ بيان إعجاز القرآن : ص ٣٧ .

آیت الله معرفت در ادامه مباحث دقت در انتخاب واژگان، به این مطلب می‌پردازد که طبق ادعای برخی، در قرآن واژه‌های غریب و دور از استعمال به کار رفته است. اگر این ادعا صحیح باشد، بر «مساله دقت در گزینش واژه‌ها» که از وجوه اعجاز بیانی است، خدشه وارد می‌شود. ایشان برای رفع این شبهه، ابتدا گونه‌های غریب، (غریب «حَسَن» و «قَبِيح») در نوشته‌های صاحب‌نظران در این حوزه را بیان کرده و سپس به دیدگاهی که معتقد است قرآن از لغات همه قبایل استفاده کرده اشاره می‌نماید و نمونه‌هایی از این لغات را ذکر می‌کند و در پایان به واژگان غیر عربی یا به اصطلاح واژگان دخیل در قرآن نیز اشاره‌ای می‌فرماید.

چگونگی واژه‌های غریب در قرآن :

گروهی بر این نظرند که وقتی قرآن را تلاوت می‌کنیم و در آن می‌اندیشیم، آن را از باشکوه‌ترین کلام‌ها و دارای چینشی از الفاظ مرسوم و متداول که در گفتگوهای عربی رایج بود، ده، می‌یابیم. بیشتر واژگان به کار رفته در قرآن زود فهم و پرکاربرد هستند و در مقابل، الفاظ غریب و دشوار در آن بسیار نادر است این در حالی است که خطبه‌های فصیحان و شعرهای شاعران نامی پر از واژگان دشوار و نادر است.

اقسام غریب :

خطابی در کتاب «معالم السنن» غریب را به دو گونه تقسیم کرده است: ۱. پیچیده و دور از فهم ۲. واژه و سخن قبایل پراکنده و دور از مرکز. غریب در قرآن از نوع دوم است، از این رو به فصاحت آن صدمه‌ای وارد نمی‌کند. تفتازانی می‌گوید: غریب به کلمه غیر مصطلحی گفته می‌شود، که معنایش مشخص و کاربردش مانوس ن باشد، و برای شناختش باید به کتاب‌های لغت مراجعه کرد. مانند: «تکأکأتم» و «افرنقعو» در کلام عیسی بن عمر نحوی، که وقتی مردم این سخنان را از او شنیدند با یکدیگر گفتند: گویا به زبان هندی سخن می‌گوید.

غریب حسن و قبیح :

واژه غیر مصطلح و غریب دو گونه است : غریب حَسَن و غریب قبیح؛ غریب حَسَن کاربردش بر عرب عیب و نقص نیست، برای این که نزد آنان غیر مصطلح نبوده است. مانند: شرنبث، اشمخر و اقمطر^۱. و غریب قبیح آن است که کاربردش به طور مطلق حتی برای عرب‌ها عیب است و از این رو «الوحشی الغلیظ»^۲، نامیده شده است. به دلیل غرابت در کاربرد، بر گوش گران و بر ذوق انسان نامطلوب می‌نماید. همچنین ناهنجار نیز نامیده می‌شود. مانند: جحیش، اطلخَم و جفخت و مانند اینها.^۳

^۱ . الشرنبث مانند غضنفر است یعنی کف دست‌ها و پاهایش فربه است. اشمخر: بلند. اقمطر: استوار بودن.

^۲ «الوحشی» یعنی نام‌آموس و «الغلیظ» یعنی سنگین و دشوار در هنگام استعمال .

^۳ . جحیش: کسی که از مردم دوری‌گزیده و تنها است. و اطلخَم الامر برگرفته از اطلخَم به معنی آبی که رنگ و بویش تغییر کرده. جفخت: غرور ورزید.

استفاده از لغت همه قبایل :

در قرآن، واژه‌های غریب ولی دلپذیر، غیر مصطلح اما گوارا که به دلیل استعمال آن در قرآن مانوس شده ؛ فراوان به کار رفته و واژه‌های رکیک و ناهنجار، در قرآن نیامده است . سبک و اسلوب قرآن فراتر از بیان عامه مردم است که سطحی سخن می‌گویند. قبایل عرب همان گونه که در امور سیاسی و نظامی و اجتماعی و نیز اقتصادی و فرهنگی از هم پراکنده بودند، از لحاظ زبان و لغت نیز از هم جدا و پراکنده بودند . بسیاری از کلمات و اصطلاحات در میان برخی قبایل رواج داشت که قبایل دیگر از آن بی خبر بودند و ممکن است برای دیگر قبایل نامانوس به نظر برسد. قرآن از تمامی این لغات بهره جسته و مناسب ترین کلمات را از هر قبیله انتخاب کرده و به کار برده است و از این راه یک نوع آگاهی عمومی در دسترس تمامی عرب قرار داده و خدمت فرهنگی، ادبی و لغوی به عرب نموده و وحدت لغت در میان عرب ایجاد کرده است. بنابراین نه فقط استعمال این گونه الفاظ به فصاحت قرآن خللی نمی رساند، بلکه یک گونه ، شیوه ادبی و فرهنگی فراگیر ایجاد کرده که عرب از آن کار عاجز بوده است . قرآن با کاربرد لغات تمامی قبایل، آن ها را با لغت یکدیگر آشنا کرد و یکپارچگی را در زبان عربی به وجود آورد. در ادامه به نمونه‌هایی از این لغات قبایل می‌پردازیم.^۱

لغات قبایل :

ابوالقاسم محمد بن عبدالله رساله‌ای به نام «اللغات» نوشته و در آن لغات قبایل عربی را که در قرآن آمده، بر اساس ترتیب سوره‌ها یادآور شده است. در این رساله لغاتی از سی قبیله معروف عرب که در قرآن به کار رفته،^۲ و نیز لغاتی از شهرهای مختلف عربی^۳ و دیگر ملت‌های مجاور عرب،^۴ آورده است. سیوطی این رساله را در الاتقان خود خلاصه کرده است:

^۱ . آیت الله معرفت، علوم قرآنی، ص ۳۲۹ .

^۲ . بعضی از قبایلی که از آنها یاد می کند عبارتند از : ۱. اُزدشنوء؛ ۲. أشعریون؛ ۳. أنمار؛ ۴. اوس؛ ۵. بنوحنیفه؛ ۶. بنوعامر؛ ۷. تغلب؛ ۸. تمیم؛ ۹. ثقیف؛ ۱۰. جذام؛

۱۱. جرهم؛ ۱۲. عماره؛ ۱۳. عسّان؛ ۱۴. قریش؛ ۱۵. قیس؛ ۱۶. کنانه؛ ۱۷. کندة؛ ۱۸. لخم؛ ۱۹. مزینة؛ ۲۰. همدان؛ ۲۱. هوازن؛ ۲۲. یمامة.

^۳ شهرهای ۱. حجاز؛ ۲. حضرموت، ۳. سبأ، ۴. عمان، ۵. مدین، ۶. یمامه، ۷. یمن.

^۴ . ۱. احباش، ۲. فرس، ۳. روم، ۴. قبط، ۵. انباط، ۶. سریان، ۷. عبرانیون، ۸. بربر.

از لغت کتانه: ۱. شطره: تلقاء (بقره/۱۴۴)؛ ۲. خلاق: نصیب (آل عمران/۷۷)؛ ۳. یعزب: یعیب (یونس/۶۱)؛ ۴. دحورا: طرداً (صافات/۹).

از لغت هذیل: ۱. رجز: عذاب (مدثر/۵)؛ ۲. صلدأ: نقیاً (بقره/۲۶۴)؛ ۳. مدراراً: متتابعاً (انعام/۶)

از لغت حمیر: ۱. سقایة: اناء (یوسف/۷۰)؛ مَسْنُون: مُتَنَن (حجر/۲۶)؛ صَرَح: بیت (نمل/۴۴)

از لغت جرهم: ۱. محسور: منقطع (اسراء/۲۹)؛ حَدَب: جانب (انبیاء/۹۶)؛ ینسلون: یخرجون (انبیاء/۹۶)

واژه‌های غیر عربی :

در لغت عرب واژه‌هایی وجود دارد که ریشه عربی ندارند و از لغت‌های مجاور گرفته شده است. این یک امر طبیعی به - شمار می‌رود چرا که در تمامی زبان‌ها بر اثر مجاورت و رفت و آمد، لغات نی ز داد و ستد می‌شوند. وارد شدن واژه‌های دیگر هرگز به عنوان نقص یا عیب شمرده نمی‌شود. وجود این گونه لغات به خالص بودن آن زبان یا آن لغت نیز صدمه - ای وارد نمی‌سازد، یعنی زبان عربی، عربی است گر چه برخی لغات غیر عربی ، که رنگ و بوی عربی به خود گرفته، در آن یافت‌شود، زیرا لغت تازه وارد، تا اوصاف آن زبان را به خود نگیرد، امکان کاربرد نمی‌یابد. بنابراین کاربرد چنین الفاظ و کلمات غیر عربی، به عربی بودن کلام، چه شعر و چه نثر، خللی وارد نمی‌آورد لذا استعمال این لغات، در اشعار قدیم عربی و سخنان پیش از اسلام ، متعارف بوده و عیب و نقص شمرده نمی‌شده است. واژه‌هایی که ریشه عربی ندارند و معرّب شده‌اند، در قرآن وجود دارد. در این زمینه کتاب‌هایی نوشته شده است از جمله: «المهذب فیما وقع فی القرآن من المعرّب» نوشته جلال الدین سیوطی است که خلاصه آن در الاتقان آمده است.^۱

^۱ . آیت الله معرفت، علوم قرآنی، ص ۳۳۱-۳۳۲.

چکیده:

۱. کاربرد واژه‌هایی که به نظر غریب می‌نمایند در قرآن وجود دارد.
۲. خطابی غریب را به دو گونه: ۱. دور از فهم و ۲. سخن قبایل پراکنده تقسیم می‌کند.
۳. تفتازانی غریب را واژه غیر مصطلح و نامانوسی می‌داند که برای فهمش باید به کتاب لغت مراجعه کرد.
۴. طبق یک تقسیم بندی، غریب دو گونه است: غریب حَسَن و غریب قبیح؛ که استعمال غریب حَسَن برای عرب عیب نیست.
۵. غریب قبیح را «الوحشی الغلیظ» می‌نامند که ناهنجار بوده و بر گوش، گران می‌آید و ذوق انسان آن را نمی‌پذیرد.
۶. در قرآن از لغت تمامی قبایل وجود دارد، که این مطلب به یکپارچگی زبان عربی (که در آن زمان بسیار پراکنده و بین قبایل دور از هم رایج بود) کمک فراوانی کرد.
۷. واژه‌های معرَّب، بر اثر مجاورت با اقوام مجاور وارد زبان عربی شده است و استعمال آنها برای عرب زبانان، عیب به شمار نمی‌رود.

محورهای پژوهشی:

- گزارشی از «واژه‌های دخیل در قرآن» از آرتور جفری
- گزارشی از واژگان غریب در قرآن بر اساس البرهان زرکشی و الاتقان سیوطی